# أسرار
# سورة
# الفاتحة

نادي عبد العزيز

# سورة الفاتحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا
ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كم تطوف على ساحل البحار مغمضًا عينيك عن غرائبها ؟ !

أوَ ما كان لك أن تركب متن لجتِها ؛ لتبصرَ عجائبَها ، وتسافر في جزائرها ؛ لاجتناء أطايبها ، وتغوص في لطائفها ؛ فتذوق حلوَ جواهرها ؟!

أوَ ما بلغك أن القرآن هو البحر المحيط ومنه يتشعب علم الأولين والآخرين كما يتشعب عن سواحل البحر المحيط أنهارُها وجداولُها ؟!

أو ما تغبط أقوامًا غاصوا في أعماقها فاستخرجوا الياقوت الأحمر ، والدرَّ الأزهر ، والزبرجدَ الأخضر؟!

وساحوا في سواحلها فالتقطوا العنبرَ الأشهب ، والعودَ الأطيب ، والمسكَ الأذفر ؟!

**جواهر القرآن ـ الغزالي ج١/ص٢١ ... بتصرف...**

لو ذاب أهل السموات وأهل الأرض حين يسمعون كلام الله عز وجل ..

أو ماتوا خمودًا أجمعون لكان ذلك حقًّا لهم ولما كان ذلك كثيرًا ؛ إذ تكلم الله عز وجل به تكليمًا من فوق عرشه من فوق سبع سمواته ...

فإذا عظم في صدرك تعظيم المتكلم به لم يكن عندك شيء أرفع ولا أشرف ولا أنفع ولا ألذ ولا أحلى من استماع كلام الله عز وجل وفهم معاني قوله تعظيمًا وحبًّا له وإجلالا ؛ إذ كان تعالى قائلَه ، فحُبُّ القول على قدر حب قائله .

**فهم القرآن – للحارث المحاسبي ج١/ص٣٠٢ ... بتصرف يسير.**

أستعين - أنا العبد الفقير إلى ربه - بالله تعالى على استخراج بعض أسرار سورة الفاتحة ، تلك السورة العظيمة التي سماها الملك - سبحانه - الصلاة .

**ففي هذه الوريقات الصغيرة جمعت أبكار الأفكار وغوامض الأسرار ، وحقها أن تكتب بسواد العيون على صفحات الخدود ، بل إن شئت فقل : حقها أن تكتب بحروف من نور على وجنات الحور .**

هذا وإن وفقت فمن الله ، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان . وأسال الله تعالى الغفران .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ( ١ ) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ( ٢ ) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ( ٣ ) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ( ٤ ) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ( ٥ ) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ( ٦ ) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ( ٧ ) ﴾ **الفاتحة.**

## أسماء سورة الفاتحة

### أم القرآن

أي أصل الكتاب ، أصل القرآن ، كما يقولون : تفسير الرازي من أمهات كتب التفسير : عشرون مجلدًا ، كتاب التحرير والتنوير من أمهات الكتب : خمسة عشر مجلدًا ، مسند الإمام أحمد من أمهات كتب السنة التي حوت حديث رسول الله ﷺ : ثلاثون مجلدًا .

لكنك تفاجأ أن **أم القرآن** وهي الفاتحة ثلاثة أسطر سبع آيات فقط لكنها جمعت ما في القرآن من معانٍ .

فالكتاب ستمائة صفحة وأم الكتاب ثلاثة أسطر فقط .

**الصلاة**

فلا تصلح الصلاة بدونها، والله سبحانه وتعالى يقول في حديث إلهي:

«قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل . .

فإذا قال العبد ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾. قال ربنا : حمدني عبدي.

فإذا قال: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: أثنى علي عبدي .

فإذا قال : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قال الله عَزَّ وَجَلَّ : مجدني عبدي .

فإذا قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال الله عَزَّ وَجَلَّ :

هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل .

وإذا قال: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

هذا لعبدي ولعبدي ما سأل» .

**وعلينا أن نتنبه** :

ونحن نقرأ هذا الحديث القدسي أن الله تعالى يقول:

قسمت الصلاة بيني وبين عبدي، ولم يقل قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي ؛ فسماها عَزَّوَجَلَّ الصلاة ، ففاتحة الكتاب هي أصل الصلاة ، وهي أصل الكتاب.

**الشافية :**

يُسترقى بها ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْطَلَقُوا فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ .

فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ قَدْ نَزَلُوا بِكُمْ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا :

يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ فَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ شَيْءٌ ؟

فَقَالَ بَعْضُهُمْ : نَعَمْ وَاللَّهِ إِنِّي لَرَاقٍ وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا .

فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنْ الْغَنَمِ .

فَانْطَلَقَ فَجَعَلَ يَتْفُلُ وَيَقْرَأُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى لَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ ( **حبل تشد به البهيمة**) ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي مَا بِهِ قَلَبَةٌ ( **علة** ) .

**عمر الفاروق** رضي الله عنه رقى بالفاتحة ، فشفي المريض ، فلما مات عمر مرض رجل فذهب أحدهم ليرقيه بالفاتحة فلم يشف ، قالوا : عمر رقاه بالفاتحة فشفي ورقاه هذا فلم يشفَ فتساءلوا ما السبب ؟!

فقال أحدهم : فاتحة ولا أبا حفص لها ، يعني ليست القضية في الفاتحة إنما القضية فيمن يقرأ الفاتحة ، في إخلاص من يقرؤها .

### السبع المثاني

لأنها سبع آيات ، وقيل لأنها كلها ثناء على الله ، ولأنك لما تثني بها على الله يثني الله عليك . ( قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ) .

### القرآن العظيم

لأنها تشمل جميع معاني القرآن الكريم .

### الحمد

لأنها بدأت بالحمد .

### الفاتحة

لأنها تفتح جميع الطرق الموصلة إلى الله ، هي المفتاح الذي يوصلك إلى الله تعالى ؛ لذلك فتح الله لنا بها القرآن ؛ فهي أول سوره وعنوان مقاصده.

## سلفنا مع الفاتحة

**ابن تيمية** رحمه الله ...

كان يقرأ الفاتحة من بعد صلاة الفجر حتى الضُّحى ، ثلاث ساعات يكرر سورة الفاتحة ، ثم يقول :

هذه غَدوتي فإن لم أتغدها سقطت قوتي .

**الفاتحة** أعظم أم **البقرة** ؟!

**البقرة** ٢٨٦ آية **والفاتحة** سبع آيات ؟!

**الفاتحة** أعظم من **البقرة** بل هي أعظم ما نزل من السماء إلى الأرض ، فلم يترل في القرآن والإنجيل والتوراة مثلها فهي أعظم ما نزل من الله إلى البشر .

## بركة سورة الفاتحة :

**منقذ بن حيان** من بني عبد القيس ( الآن دول مجلس التعاون الخليجي : الإمارات وقطر والبحرين والكويت ).

كانت قديمًا تسمى قبائل بني عبد القيس وكانت قبائل مشركة ، جاء **منقذ ابن حيان** وهو فعلا منقذ ، جاء المدينةَ وكان تاجرًا ، فاستقبله النبيُّ ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : **أمنقذ بن حيان** ؟!

كيف حالك ؟ كيف أمورك ؟ كيف أهلك وعشيرتك كيف المنذر بن عائض؟ وهو أبو زوجته ،كيف فلان من قومك ؟!

فجعل النبي ﷺ يسمي له أشراف قومه رجلا رجلا .

فبُهِر الرجل ، واستأنس بالنبي ﷺ .

فلما رأي النبي ﷺ ذلك عرض عليه الإسلام ، فأسلم فعلمه النبي ﷺ سورة **الفاتحة** والعلق .

فلما رجع إلى قومه رأت عليه زوجته أمورًا غريبة لم يكن يفعلها .

لاحظت ـ وهي بنت المنذر بن عائض المشهور بأشج عبد القيس وكان سيد قومه ـ لاحظت تصرفًا غريبًا عليه ، لاحظت وضوءه وصلاته فاسترابت من هذا الأمر .

شعرت أن هناك تحولا في حياته ، فذهبت إلى أبيها وقالت إن منقذًا قد رابني أمره منذ أن قدم من يثرب .

ما الذي رابك فيه يابنيتي ؟!

قالت رأيته يغسل أطرافه ثم يستقبل الجهة ثم يحني صلبه ويضع جبينه على الأرض .

فما كان من **المنذر بن عائض** الذي هو أبو زوجته وهو سيد قومه أيضًا إلا أن أتى إليه ليعرف منه حقيقة هذا التحول في حياته فكانت هذه الفرصة المناسبة وإذا **بمنقذ بن حيان** يعرض على أبي زوجته وسيد قومه رسالة حبيبه **محمد** ﷺ فأسلم هو أيضًا وعرض الإسلام على قومه فأسلموا ودخلوا الإسلام .

وهكذا أسلمت دول **مجلس التعاون الخليجي** التي هي قبائل بني عبد القيس أسلمت ببركة سورة **الفاتحة** .

# ﴿ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾

" أعوذ بالله " اعتراف بعجز النفس وبقدرة الرب وهذا يدل على أنه لا وسيلة إلى القرب من الله إلا بالعجز والانكسار.

**الشيطان** : يحتمل أن يراد الجنس فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين ، أو العهد فتكون الاستعاذة من إبليس.

الشيطان : عدوك وأنت عنه غافل غائب " إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ " ولذا فلك عدو غائب ولك حبيب غالب لقوله : " وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ " .

فإذا قصدك العدو **الغائب** فافزع إلى الحبيب **الغالب** .

**عندما نستعيذ بالله** من الشيطان، لابد أن نستشعر أننا نستجير ونتحصن ونستغيث ونلوذ ونلتجئ ونطلب العون من القوي المتين الجبار المقتدر، رب كل شيء والقادر على كل شيء والعليم بكل شيء وإله الأولين والآخرين ، ( أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ) ؟!

فمنه المنجى، وإليه الملجا ، وبه الاستعاذة من شر ما هو كائن بمشيئته وقدرته فهو خير من يُتَعَلق به مِن أعتى عدو لبني آدم ، وهو الشيطان الرجيم المطرود من كل رحمة وخير، ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾.

**والحكمة في الاستعاذة** عند القراءة : الاستئذان وقرع الباب ، لأن من أتى باب ملك من الملوك لا يدخل إلا بإذنه ، كذلك من أراد قراءة القرآن ، إنما يريد الدخول في المناجاة مع الحبيب ، فيحتاج إلى طهارة من جميع الأهواء والأفكار والهواجس والأكدار والأحزان ، التي قد تشوش وتعيق الانتفاع الحقيقي من هذه القراءة ، وهذا لا يتحقق إلا بأنك تستنجد وتستجير بالله .

**لكن** .. لماذا الاستعاذة بالله ؟ لِمَ لَمْ يقل أعوذ بالقادر... مثلا ؟!

عندما نستعيذ بالله باسم الجلالة " **الله** " نستحضر حينها في الأذهان جميع أوصاف الباري عز وجل، فهو الخالق البارئ المصور المقتدر العزيز الحكيم له الأسماء الحسنى، لكن لو كان اسمًا آخر كالقادر مثلا سيخطر في بالك صفة القدرة ، أو العليم سيخطر صفة العلم ، أو الرحمن صفة الرحمة، لكن الاسم الوحيد الذي تذكره فيشمل جميع أسماء وأوصاف الجلال والجمال والكمال هو " **الله** " فتأمل ـ أخي في الله ـ هذه اللطيفة.

**واستعمال القرآن الكريم لفظ** " الشيطان " بدل " إبليس " في الاستعاذة؛ لأن إبليس هو اسم الشيطان وأبوهم الذي عصى الله واستكبر عن أمره، فلا يشترط أن يكون هو من يوسوس فله ذُرِّيّة وجنود كما قال تعالى :

( إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ).

**الشيطان**

من شاط أي : امتلأ حقدًا علينا ، فلا يهدأ حتى يرى الناس في النار ، فيكون ( رجيم ) أي راجم لبني آدم بوسوسته .

أو من شطن : بعد وطرد من رحمة الله ، فيكون بمعنى : (مرجوم مطرود مغلوب هالك ) . لكننا ـ وللأسف الشديد ـ لا نحسن قولها والشعور بها .

**مثال تقريبي** :

رجل قوي جدًّا بيده سكين يطارد رجلا شيخًا كبيرًا ضعيفًا هزيلا شخيتًا لا حيلة له ولا طاقة ، وهو يجري خلفه يكاد يصل إليه فيذبحه ، والشيخ يعثر تارة ، وينهض أخرى ، ويسقط ويقوم ، وينظر خلفه فيرى الموت بعينه ، فيزداد نبضه ويقل عزمه ، وإذا بالشيخ الكبير الضعيف الذي أنهكه الجري وكاد نفسه ينقطع يجد قويًّا عظيمًا حصنًا حصينًا ، فيلوذ به **يقول** :

**أستغيث بك ، أنقذني ، اِحمني من هذا العدو** .

ولذلك عندما تبدأ صلاتك بالاستعاذة لابد أن تستحضر هذا المعنى :

أنك تلجأ إلى الله تستغيث به وترجوه أن يحميك من هذا العدو اللدود الذي نصب لك حبائله وشباكه ليوقعك في الخطيئة .

**وحكمة تأخير البسملة** عن الاستعاذة :

الإشعار بأن باب التحلية مؤخر عن باب التخلية ، وبأن الإقبال على الله سبحانه والتوجه إليه ، مؤخر عن الإعراض عما سوى الله تعالى.

## ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

والمؤمن لا يبدأ العمل إلا بباسم الله :

إذا أراد أن يأكل قال بِسْمِ اللَّهِ لأنه الله هو الذي رزقه الطعام .

إذا أراد أن يتزوج قال بِسْمِ اللَّهِ لأن الله هو الذي خلق له زوجته وأباحها له .

إذا دخل الامتحان قال : بِسْمِ اللَّهِ لأنه الله هو الذي يوفقه ويفتح له .

إذا دخل بيته قال بِسْمِ اللَّهِ ؛ لأنه الله هو الذي يسر له البيت ورزقه إياه .

**قد يقول قائل** :

إن الكافر تنفعل له الأشياء وتستجيب له مع عدم قوله بِسْمِ اللَّهِ ؟

لأن الكافر وإن انفعلت له الأشياء واستجابت مع عدم قوله بِسْمِ اللَّهِ إلا أن المؤمن يريد ثواب عبوديته بقوله بِسْمِ اللَّهِ في الدنيا والآخرة .

ولأنك حين لا تبدأ العمل بِسْمِ اللَّهِ قد يصادفك الغرور والطغيان بأنك أنت الذي سخرت ما في الكون ليخدمك وينفعل لك. .

وحين لا تبدأ العمل بِسْمِ اللَّهِ . . فليس لك عليه جزاء في الآخرة فتكون قد أخذت عطاءه في الدنيا . . وخسرت عطاءه في الآخرة . . فإذا كنت تريد عطاء الدنيا والآخرة . فأقبل على كل عمل بِسْمِ اللَّهِ .

## بِسْمِ اللَّهِ

أبتدئ مستعينًا بربي متوكلا عليه ، في كل أموري ، في كل أموري المشروعة المباحة .

أبتدئ باسمه سبحانه وتعالى ؛ فهو وحده المستعان.

**فاشدد يديك بحبل الله معتصمًا فإنه الركن إن خانتك أركانُ**

**الله** :

قف مع هذا الاسم وتدبر ، هو الاسم الأعظم عند كثير من أهل العلم ، الذي سمى الله لله هو الله ، والذي يستحق الله هو الله ، ولا يطلق الله إلا على الله .

حتى يقول سبحانه وتعالى منكرًا على أعدائه :

**هل تعلم له سميًّا ؟!** .. يقول : هل تسمى أحد باسمنا قبلنا ؟!

هل تسمى الروم أو الفرس أو اليونان أو الرومان أو من سبق أو من لحق ؟!

هل تجرأ أحد منهم أن يقول هو الله ؟!

حتى فرعون الطاغية في جبروته لم يستطع ولم يقدر وخجل أن يقول هو الله فالله هو الله سبحانه وتعالى .

## الله

يقول أهل العلم هو الذي تألهه القلوب وتحبه ولا تحب القلوب إلا الله ، فلا تسكن إلا إليه ، ولا تقبل إلا عليه .

مهما حاولت النفوس أن تبحث في الدنيا عن سكن عن زوجة عن ابن عن قصر عن شهرة عن ظهور عن منصب عن جاه ... إنما هو الشرود هو الضياع إنما هو التمتع الجزئي المنقطع .

**لـكـن** ..

إذا سكنت إلى الله إنما هو الثقة هو الأمان هو التوكل والاستعانة .

قال سبحانه وتعالى : أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ.

## الله

هو الاسم الذي تنتظم بعده الأسماء حتى قالوا :

الله من الأله أي الحيرة فإن العقول تَحار في آيات الله ، وتَحار في أسمائه ، وتحار في صفاته ؛ لأن العقل البشري صغير ، وأنت لو فكرت في الكون وفي أفعاله سبحانه وفي أسمائه وصفاته تحير عقلك وتبلد.

**ومن رحمة الله** سبحانه وتعالى أنه علمنا أن نبدأ كل شيء :

بِسْمِ اللَّهِ . . لأن الله هو الاسم الجامع لجميع الصفات ..

فأنت حين تبدأ عملا تحتاج إلى قدرة الله ، وحين تريد المال تحتاج إلى رزقه ، وهكذا كل فعل يحتاج إلى اسم مختلف من أسماء الله تعالى .

**فلو أن الله سبحانه وتعالى** لم يخبرنا بالاسم الجامع لكل الصفات . .

كان علينا أن نحددَ الصفاتِ التي نحتاج إليها . .

كأن نقول باسم الله القوي وباسم الله الرازق وباسم الله المجيب وباسم الله القادر وباسم الله النافع ..

ولكن الله تبارك وتعالى علمنا نقول بِسْمِ اللَّهِ الجامع لكل هذه الصفات.

**الله** يا أعذبَ الكلماتِ في لغتي ويا أجلَّ حروفٍ في معانيها

**الله** يا أمتعَ الأسماءِ كم سعدتْ نفسي وفاضَ سروري حين أرويها

**الله** يرتاحُ قلبي حينَ أسمعها وحين أُبصرُها نقشًا وأُمليها

**الله** أُنسي وبُستاني وقافيتي اللهُ يا زينةَ الدنيا وما فيها

**الله** إن جاءتِ الدنيا بضائقةٍ فالجأْ إليها ففيها ما يجليها

**ومن لطائف هذا الاسم** :

أن كلمة *الشهادة* وهي الكلمة التي بسببها ينتقل الكافر من الكفر إلى الإيمان " *الإسلام* " لم يحصل فيها إلا هذا الاسم .

فلو أن الكافر قال : أشهد أن لا إله إلا الرحمن أو الرحيم أو الملك أو القدوس لم يخرج من الكفر ولم يدخل في الإسلام أما إذا قال أشهد أن لا إله إلا الله فإنه يخرج من الكفر ويدخل في الإسلام وذلك يدل على اختصاص هذا الاسم بهذه الخاصية الشريفة .

**وكذلك فإن المؤمن**

يعيش هذا الاسم طول حياته ، فإني أقول طول حياتي **الله** فإذا مت أقول **الله** وإذا سُئلتُ في القبر أقول **الله** وإذا جئتُ يوم القيامة أقول **الله** وإذا أخذتُ الكتاب أقول **الله** وإذا وُزِنت أعمالي أقول **الله** وإذا أجزت الصراط أقول **الله** وإذا دخلت الجنة أقول **الله** وإذا رأيت الله أقول **الله**.

**قد يتساءل بعض الناس** :

كيف أبدأ أعمالي كلها بِسْمِ اللَّهِ وقد عصيت وخالفت وأجرمت ؟!

أقول :

إن الله سبحانه وتعالى أعطانا الحيثية التي نبدأ بها الأعمال فجعلنا نبدؤها **بـ** :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

فالله سبحانه وتعالى لا يتخلى عن العاصي. . بل يفتح له باب التوبة ويحثه عليها. .

ويطلب منه أن يتوب وأن يعود إلي الله . .

فيغفر له ذنبه ؛ لأن الله رحمن رحيم .

فهو يطلب من كل عاصٍ أن يعود إليه ؛ فرحمته تسع كل ذنوب خلقه . .

وهو سبحانه وتعالى الذي يغفر الذنوب جميعًا.

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ

## الرَّحْمَن

الحمد لله الذي باشرنا بهذه الكلمة ( الرَّحْمَن ) .

الحمد لله الذي بشرنا بهذه الكلمة فلم يقل : الجبار نعوذ بالله من جبروته ، ولم يقل القهار نسأل الله معافاته ، وإنما قال : الرَّحْمَن..

تعالوا أقبلوا إنما هو الرحمن ، ربكم هذا هو الرحمن هو الذي يرحم ، هو الذي يصل المنقطع هو الذي يعافي ، هو الذي يتوب على من تاب .

و الرَّحْمَن صيغة مبالغة على وزن فعلان كثير الرحمة .

والرحمن لأنها رحمة عامة ، رحمة في الدنيا رحمة في الآخرة .

رحمة بالطائعين رحمة بالعاصين ، رحمة بالمؤمنين ، رحمة بالكافرين .

حتى إنه يمهل الكفار لعلهم يسلمون ، يقيم عليهم الحجة ، يرسل إليهم الرسل يترل عليهم الكتب ، فهو رحمن .

ورحمته عمت كل شيء ، رحمته في كل شيء في الكائنات . في الأرض في السماء في الضياء ، في الظلماء ، في كل شيء رحمته سبحانه وتعالى .

وقد كتب كتابًا فوق العرش لكنه كتاب ثمين كتاب نفيس

**نصُّ الكتاب** :

**أن رحمتي سبقت غضبي** .

فنسأل الله بهذه الرحمة أن يرحمنا جميعًا .

## الرَّحِيمِ

الآن تنتظم الأسماء والصفات بعد الله ، الرحيم رحمة خاصة بأوليائه ، يوم يعرفون ربهم ويتعرفون إليه ، يوم يسجدون له و يتولونه ، يوم يحبونه ، ويخلصون له ، يرحمهم رحمة خاصة ، ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ ، فهو الرحمن الرحيم سبحانه .

هذه **الرحمة** التي جعلها الله مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفعَ الدابةُ حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه .

جاء في **الأثر** أن امرأة شكت إلى موسى أنها لا تنجب ... عقيم ، فكلّم موسى ربه .

**فقال الله** : يا موسى لقد كتبتها ( عقيم ) .

رجع موسى إليها وأخبرها أن الله قد كتبها ( عقيم ) ، فأدبرت تبكي ، وتشتكي إلى ربها ، وجعلت تدعوه باسمه **الرحيم** أن يهب لها الولد .

وبعد عام عادت إلى موسى تحمل الولد على يديها .

تعجَّب موسى كيف ذلك ؟! فسأل ربه : كيف هذا وقد كتبتَها (عقيم) ؟!

قال : يا موسى كلما كتبتها (عقيم) ، قالت يا (رحيم) ، وقد كتبت على نفسي **أن رحمتي سبقت مقدرتي** .

**فإن قيل** :

ما الفائدة في الجمع بينهما مع أن " الرحمن " يقتضي معنى " الرحيم " إذ هو أبلغ منه ؟!

قيل: إنه تعالى لما خلق الدارين وكان في دار الدنيا منعمًا على المؤمن والكافر، فقد اختص رحمته بالمؤمنين في الآخرة .

ولذلك قيل: رحمن الدنيا، ورحيم الآخرة ، وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ .. جمع بين الوصفين .

وأما ذكر " الرحيم " بعد " الرحمن " فذكر خصوص بعد عموم.

**لكن**

إذا كان الرحمن أعظم من الرحيم فلِم ذكر الأدنى بعد الأعلى ؟

قيل : لأن الكبير العظيم لا يُطلبُ منه الشيء الحقير اليسير .

وحكي أن بعضهم ذهب إلى بعض الأكابر فقال :

جئتك لخطبٍ يسير فقال : اطلب للخطب اليسير رجلاً يسيرًا .

وكأنه تعالى يقول :

" لو اقتصرت على ذكر الرحمن لاحتشمتَ عنى ولتعذرَ عليك سؤال الأمور اليسيرة ولكن كما علِمتَني رحمانًا تطلب مني الأمور العظيمة ،

فأنا أيضًا رحيم فاطلب منى شراء نعلك وملح طعامك" .

# ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

قال رسول الله ﷺ :

الطهور شطر الإيمان، والْحَمْدُ لِلَّهِ تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماوات والأرض .

الحمد الثناء الجميل والشكر الجزيل ، فلا يستحق الحمد إلا الله ، لأن كل النعم إنما من الله ... من الذي أعطى ؟ من الذي أنعم ؟ من الذي هدى ؟ من الذي أسدى ؟ من الذي خلق ؟ من الذي رزق ؟

فمن يستحق الحمد إلا هو ؟!

وهو الذي حمد نفسه قبل أن يحمده الحامدون ، وأثنى سبحانه على نفسه قبل أن يثني عليه المثنون ، ووصف نفسه قبل أن يصفه الواصفون .

حتى أنه يثني على نفسه أحيانًا إذا ابتلى أمة بكارثة ، أو أدب عصاة ، وجرهم على وجوههم .

**قال تعالى** :

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

فهو يستحق الحمد حتى في العقوبة ..

لأن أحكامه الشديدة القوية إنما هي عادلة .

فرحمته فضل ، وأخذه عدل .

فلذلك استوجب الحمد .

## الْحَمْدُ لِلَّهِ

أول كلمة ذكرها أبونا آدم عليه السلام ،وهي آخر كلمة يذكرها أهل الجنة.
أما الأول فلأنه لما بلغ الروح إلى سرته عطس فقال **الْحَمْدُ لِلَّهِ** .
وأما الثاني فهو قوله سبحانه وتعالى " **وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** .
ففاتحة العالم مبنية على الحمد وخاتمته مبنية على الحمد ...
فاجتهِد حتى يكون أول أعمالك وآخرها مقرونًا بهذه الكلمة فإن الإنسان عالَمٌ صغيرٌ فيجب أنْ تكون أحوالُه موافقةً لأحوال العالَمِ الكبير.

## لِلَّهِ

لما أتى سيبويه يعرف الأعلام ، قال : **الله** أعرف المعارف ثم بكى .
**الله** أعرف المعارف لا يحتاج إلى تعريف .
يُقال : رئي في المنام قالوا ما فعل ربك بك ؟
قال : غفر لي . قالوا : بِمَ ؟ قال : أتيت أعرف اسم الجلالة **الله** ، كتبت في كتابي : **الله** أعرف المعارف لا يحتاج إلى تعريف .
ماذا تُعرف يا سيبويه ؟!
يقول أحد العلماء :
**الله** اسم لا تسعه المعاجم كلها ، ففي هذا الاسم المعجم كله .

۞ وإنما قال الْحَمْدُ لِلَّهِ ؛ لأن الله كما قلنا هو الاسم الجامع لكل صفات الله تعالى ، ولولا هذا الاسم الجامع لاضطُّر المؤمن أن يحمده فيقول :

الحمد للرحمن ، الحمد للرحيم ، الحمد للوهاب ، الحمد للكريم ، الحمد للرزاق ، الحمد للمنان ، إلخ .

لكننا نقول الْحَمْدُ لِلَّهِ فيشمل الحمدُ كمالَ الصفاتِ كلها.

۞ والحمد في الأصل موجود **وموجود حتمًا** ؛ لأنك حين خرجت إلى الدنيا ومنذ اللحظة الأولي في حياتك وجدت كل المخلوقات مسخرةً لك ، الشمس النجوم الكواكب الأرض المجرات الأمطار البحار المحيطات والحيوانات حتى الملائكة تستغفر لك ، فكان لابد وحتمًا من وجود الحمد

**لكنك تتساءل لمن الحمد ؟!**

والحمد لا يكون إلا لمن أوجد هذه المخلوقات وسخرها لك ، لا يكون إلا لمن وهبك إياها ورزقك وخلقك ورحمك وشفاك وعافاك وهداك ونصرك وأطعمك وألبسك وكساك وأوجدك .

فلا ينبغي الحمد ولا الشكر ولا الثناء إلا لله العلم على الذات العلية .

۞ فالله محمود لذاته ومحمود لصفاته، ومحمود لنعمه، ومحمود لرحمته، ومحمود لمنهجه، ومحمود لقضائه، الله محمود قبل أن يخلق من يحمده. ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه جعل الشكر له في كلمتين اثنتين هما الحمد لله.

**فالحمد لله أن علمنا كيف نحمده بالحمد لله .**

والحمد لله ولله وحده ؛ لأنه هو الله صاحب التكليفات أعظم التشريفات، وهو الرب المعطي الرازق الوهاب ، وهو الرحمن ، وهو الرحيم ، وهو مالك يوم الدين ، وهو الذي نستعين به على عبادته ، وهو الذي نطلب منه الهداية في الدنيا والآخرة . فهو المستحق للحمد وحده سبحانه .

## فإن قيل :

لِمَ لَمْ يَقُلْ: الحمد لي ؟!

قيل: لأن ذلك تعليم منه لعباده .

كأنه قال :

قولوا: بسم الله، الحمد لله ، بدلالة قوله:

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴾ .

وقيل: إنّ " قل " غير مقدر في هذا الموضع ؛ لأن الله حمد نفسه ليُقتدى به في حمده، بدلالة ما روي عن النبي ﷺ : ليس شيء أحب إلى الله من الحمد، أثنى على نفسه فقال:

" الحمد لله "، ولأن أرفع حمد ما كان من أرفع حامد وأعرفهم بالمحمود وأقدرهم على إيفاء حقه في الحمد، وما حامد أرفع منه وأعرف بذاته وأقدر على حمده منه تعالى، كما لا محمود أرفع منه وأعلى، وقال بعضهم:

كل ثناء أثنى الله على نفسه، فهو في الحقيقة إظهاره بفعله.

**فحمده لنفسه**: هو بث آلائه، وإظهار نعمائه بمحكمات أفعاله المقتضية لحمده.

فكأن قوله: " الحمد لله " تقديره: الحمد لله ظاهر بآلائه، وعلى ذلك قوله: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُو، فإن شهادته لنفسه إيجاده الأشياء دالة على وحدانيته ناطقة بالشهادة له.

## رَبِّ الْعَالَمِينَ

يتقرب إلى عباده بالربوبية ، يقول أنا الذي خلقكم ، أنا الذي رزقكم ، أنا الذي هداكم أما أستحق أن أعبد ؟!

أما أستحق أن أوحد وحدي؟!

كأنه يقول سبحانه :

أنا ربيت ، أنا الذي ربى ، أيها العالم أيها الناس : تعالوا نحن من ربيناكم ومنحناكم وأعطيناكم فالواجب عبادتي .

**والرب** هو صاحب الآلاء والنعماء ، حتى قال بعضهم : في الفرق بين قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾وقوله:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾

**قال** : لما خاطب الناسَ كافة حثهم على اتقائه برؤية آلائه، لاشتراكهم كلهم في معرفتها وتصورهم إياها ، ولما خاطب المؤمنينَ حثهم على اتقائه بلا واسطة.

**وتربية الله لخلقه نوعان : عامة وخاصة** ...

**فالعامة** هي خلقه للمخلوقين ورزقهم ، وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا .

**والخاصة** : تربيته لأوليائه ، فيربيهم بالإيمان ، ويوفقهم له ، ويكملهم ، ويدفع عنهم الصوارف ، والعوائق الحائلة بينهم وبينه .

**وحقيقتها** : تربية التوفيق لكل خير ، والعصمة من كل شر ، ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب ، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة.

**وتربية الله تعالى** مخالفة لتربية غيره لأسباب منها :

**الأول** : أنه تعالى يربي عبيده لا لغرض نفسه ، أما غيره فيربون لغرض أنفسهم لا لغرض غيرهم .

**الثاني** : أن غيره إذا ربى فبقدر تلك التربية يظهر النقصان في خزائنه وفي ماله وهو متعال عن النقصان والضرر .

## الْعَالَمِينَ

لأنها عوالم كثيرة . هو ملكها ملك الملوك ، فعالم الإنس وعالم الجن ، وعالم الشياطين ، عالم الملائكة وعالم الأفلاك ، وعالم البحار ، وعالم الحيوانات ، والحيوانات عوالم ، عالم الزواحف وعالم الطيور وعالم الأسماك وكلها يطلب الرزق كل يوم هو في شأن يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ . يُعطي ويَمنح ويَهدي ويُقرب ويُبعد ويُعافي ويَشفي ويَنصر ويَستر.

۩ وقال **رب العالمين** : لأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يطمئن عباده أنه رب لكل ما في الكون فلا تستطيع أي قوى تخدم الإنسان أن تمتنع عن خدمته . . لأن الله سبحانه وتعالى مسيطر على كونه وعلى كل ما خلق. . إنه رب العالمين وهذه توجب الحمد.أن يهيئ الله سبحانه وتعالى للإنسان ما يخدمه ، بل جعله سيدًا في كونه. . ولذلك فإن الإنسان المؤمن لا يخاف الغد . . وكيف يخافه والله رب العالمين؟!

۩ **لكن** ، لماذا قال المولى :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

ولم يقل

الحمد لرب العالمين الله ؟!

مع أن النسق الذي يتماشى مع النفس الإنسانية التي تحتاج دائمًا هو الحمد لرب العالمين الله ، فالرب يعني الرازق والخالق والمعطي والواهب والمنان ، والنفس تحب الرزق ، تريد المطر وتحتاج إلى الطعام والمال والبيت والسكن والأولاد والزوجة ، وهذا كله موجود في توحيد الربوبية (رَبِّ الْعَالَمِين) ، أما توحيد الألوهية فهو تكليفات من الله تعالى للناس وهو مكبل لنفوسهم ، وقد يكون شاقًّا على النفس البشرية فهو : **افعل ولا تفعل** ، فقد يجوع الإنسان لكنه لا يستطيع الأكل لأنه مكلف بالصوم ، وقد يريد النوم لكنه مكلف بالصلاة الآن ، ونحو ذلك من التكليفات الموجودة في توحيد الألوهية ( **الله** ).

ولأن المتفضل المنعم يكون محمودًا عند كل الناس لكن المكلِّف لا يكون كذلك عند كل الناس ؟!

ولأن كلمة الرب ستمنحني وتعطيني ، وكلمة الله ستكلفني وتقيدني ، والقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها وأعطاها ؟!

**أقول بدأ** بحمد الله وقدَّمه على حمد الرب ليعْلَمَ الناسُ أن تكليفَهم في الحياة يحتاج إلى حمد الله عليه . ليحمدوا الله أن كلفهم بافعل ولا تفعل. .

وذلك لأنه ضَمنَ لهم عدمَ تصادم حركة حياتهم. . فتمضي حركة الحياة متساندة منسجمة . فالتكليف من الله يحتاج الحمد لأن التكليف منهج رسمه الله لعباده لتسعد حياتهم وتستقيم فكان حمده على التكليف أوجب من حمده على إيجادنا وإرزاقنا .

**فالتكليفات أعظم التشريفات من الله لعباده** .

ولذلك كان المنطق أن يقال :( الرحمن خلق الإنسان علمه القرآن ) . لأنه خلقه أولا ثم علمه القرآن ...

لكنه قال تعالى : الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ .

وذلك لأن الله لم يمتن بخلق الإنسان بدون منهج أبدًا ، فالإنسان بدون منهج ستفسد حياته ، حيث يصنع كل إنسان ما تهوى نفسه ، وحينما يصنع كل إنسان ما فيه هواه ، تفسد حركة الكون .

**ولذلك إذا تدبرت** القرآن لا أقول إذا قرأت القرآن ، إذا تدبرت القرآن وجدت كل خبر عن الإنسان من جنس الشر إلا أن يأتي الاستثناء بالإيمان :

ـ وَالْعَصْرِ ( ١ ) إِنَّ الْإِنْسَانَ ( **بانعزال إنسانيته عن المنهج** ) لَفِي خُسْرٍ ( ٢ ) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ( ٣ ) العصر . فالإنسان بدون منهج خاسر .

ـ إِنَّ الْإِنْسَانَ ( **بانعزال إنسانيته عن المنهج** ) خُلِقَ هَلُوعًا ( ١٩ ) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ( ٢٠ ) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ( ٢١ ) إِلَّا الْمُصَلِّينَ ( ٢٢ ) المعارج .

ـ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ( ١ ) وَطُورِ سِينِينَ ( ٢ ) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ( ٣ ) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ( ٤ ) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ( ٥ ) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) التين .

**فالله سبحانه وتعالى امتن أولا بالمنهج ثم خلق الإنسان ، لأن الإنسان بدون منهج تفسد حياته ولا تنتظم.**

**ومن ناحية أقرب للفهم نقول** :

**لما كانت نعمة الهداية والإرشاد أعظم من نعمة الخلق والإيجاد قدمها الله وإن كانت متأخرة زمنًا، إلا أن الله قدمها لعظيم نفعها وجلالة أثرها، ولأن نعمة الهداية والإرشاد لا ينالها إلا المؤمنون، لا ينالها إلا المطيعون المخلصون المتقون، لكن نعمة الخلق والإيجاد مشتركة بين الخلق ينالها كل مخلوق، من بر أو فاجر، من مؤمن أو كافر، من بني آدم، من الجن، من الملائكة، من البهائم، من الطير، كلهم يجتمعون ويتساوون في أنهم مخلوقون للرب تبارك وتعالى.**

# ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قيل : تكرار ، لتتأكد من هذا ، فتطلب رحمته ، تطلبها في مواطنها ،فلا تيأس من روحه ، ولا تقنط من رحمته ، بل تقترب إليه ، فإنما هو رحمن إنما هو رحيم ، فاقرب واقرب ، فلذلك استوجب الرحمة سبحانه وتعالى ، ورحمته وسعت كل شيء جل في علاه لا إلا هو .

رحمته **يجدها** المسافر ، **يجدها** المنقطع ، **يجدها** المريض على السرير الأبيض **يجدها** الحادي في الصحراء يوم يضل .

**يجدها** الملاح في البحر وهو في السفينة وهي تتضارب به ذات اليمين وذات الشمال فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ ، **يجدها** الإنسان وهو في الطائرة بين السماء والأرض فينقطع الاتصال والحبال والسبل فلا يجد إلا الاتصال بالواحد الأحد :

**كم نطلب الله في ضر يحل بنا فإن تولت بلايانا نسيناه**

**ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا لما وصلنا إلى الشاطي عصيناه**

**ونركب الجو في أمن وفي دعة وما سقطنا لأن الحافظ الله**

رحمته **تجدها** النملة في بيتها ، **يجدها** العصفور **يجدها** الطائر **يجدها** القُمري **يجدها** الجان **يجدها** الإنسان ، **يجدها** الطفل **يجدها** الشيخ الكبير .

رحمته في كل شيء ، في الأرض في السماء في الهواء في الضياء في الظلماء . في كل شيء .

**وقيل** : ليس هناك تكرار

( بِسْمِ اللَّهِ ـ الْحَمْدُ لِلَّهِ ) .

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ـ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) .

فالله في **بِسْمِ اللَّهِ** : يعني أستعين في كل أعمالي بجميع قدرات الله لأنه هو الذي خلقها وسخرها لنا .

أما الله في : **الْحَمْدُ لِلَّهِ** ، فتعني : الشكر لله على ما فعل لنا ووهبنا ومنحنا .

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في البسملة غيرها في السورة ؛

**ففي البسملة** : تذكرنا برحمة الله سبحانه وتعالى وغفرانه حتى لا نستحي ولا نهاب أن نستعين باسم الله إن كنا قد عصينا لكي نعرف أن الباب مفتوح للاستعانة بالله.

وأن المعصية لا تمنعنا من الاستعانة في كل عمل باسم الله ؛ لأنه رحمن رحيم، فيكون الله قد أزال وحشتك من المعصية في الاستعانة به سبحانه وتعالى.

**أما في الفاتحة** : فهي مقترنة برب العالمين ، الذي أوجدك من عدم. . وأمدك بنعم لا تعد ولا تحصى. أنت تحمده على هذه النعم التي أخذتها برحمة الله سبحانه وتعالى في ربوبيته.

والله سبحانه وتعالى رب للمؤمن والكافر، فهو الذي استدعاهم جميعًا إلى الوجود. ولذلك فإنه يعطيهم من النعم برحمته. . وليس بما يستحقون.

فالشمس تشرق على المؤمن والكافر . والمطر يتزل على من يعبدون الله. ومن يعبدون أوثانًا من دون الله. والهواء يتنفسه من قال لا إله إلا الله ومن لم يقلها.

وصف نفسه تعالى بعد رَبِّ الْعَالَمِينَ بأنه الرَّحْمَن الرَّحِيم ، لأنه لما كان في اتصافه برب العالمين ترهيبٌ ، قرنه بالرحمن الرحيم المتضمن للترغيب، ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه، فيكون أعون على طاعته وأمنع، كما قال تعالى :

﴿ نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنَّ عَذابِي هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ ﴾

وأيضًا ؛ لأنه لما كان هو الذي يربيهم فلابد أن يتصف بالرحمة معهم . ليصلحهم ، ويصلح الكون والوجود كله برحمته الشاملة .

**وبصيغة أخرى** :

فإن وقوعَ ﴿ الرَّحْمَن و الرَّحِيم ﴾ بعد كلمة ﴿ رَبِّ ﴾ أحسن موقع ؛ لأن هذا الربَّ الذي لا رَبَّ غيره، والسيدَ الذي لا سيدَ سواه رحيمٌ بعباده، فتنبسط نفوسُ العباد، ويقوى أملهم ورجاؤهم برحمته .

وفيه إشارةٌ إلى أن المربي ينبغي أن يتحلى بالرحمة ، وأنه لا ينبغي أن يقسوَ على مَنْ يربيهم ويرشدهم .

**كما أن فيه إشارة** إلى أن الرحمة ينبغي أن تكون صفةَ الرب بكل ما تحتملُ من معانٍ. فالمالك ينبغي أن يكون رحيمًا بما يملك وبمن يملك، والمربي ينبغي أن يكون رحيمًا، والسيد ينبغي أن يكون رحيمًا، والمصلح ينبغي أن يكون رحيمًا، والقَيِّمُ ينبغي أن يكون رحيمًا.

فالرحمة ينبغي أن تكون وصفَ الرب بكل معانيها.

## ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾

**فكأنه سبحانه وتعالى** يقول :

إن كنتم ممن يعظمون **الكمال الذاتي** فاحمدوني فإني إله العالمين ، وهو المراد من قوله الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وإن كنتم ممن تعظمون **الإحسان** فأنا رَبّ الْعَالَمِينَ ، وإن كنتم تعظمون **للطمع في المستقبل** فأنا الرَّحْمَن الرَّحِيمِ ، وإن كنتم تعظمون **للخوف** فأنا مَالِك يَوْمِ الدِّينِ.

يقول : مَالِك يَوْمِ الدِّينِ ، اسمع ملك الملوك يتحدث عن نفسه ، كل نواصي الملوك بيده ، وقرئت ملكِ يوم الدين ، فلا ملك إلا الله ولا مالك إلا الله ، إن ولَّى أحدًا فإنما يوليه فترة زمنية لقطعة أرضٍ صغيرةٍ في الدنيا ثم يقبض روحَه ، يقول : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ( ٢٦ ) ﴾ آل عمران .

يقول يوم القيامة :

أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ أنا الملك أين ملوك الأرض ؟

يقول : لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ فلا يجيبه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فيجيب نفسه بنفسه ، فيقول : لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

فهو مَالِك يَوْمِ الدِّينِ ، يوم الحساب ، وخصه ؛ لأنه لا يقضي فيه إلا الله ، ولا يفصل فيه إلا الله .

حكومة عادلة ، المحكمة الإلهية العادلة تنصب يوم القيامة لا ظلم اليوم ، فيقتص الله للمظلوم ممن ظلمه ، وللمغلوب ممن غلبه ، من أخذ من ماله أو من عرضه أو من دمه نُصبت له المحكمة في ذلك اليوم.

ولذلك من عدله سبحانه وتعالى أن يأتِيَ بالشاة الجلحاء الجماء التي ليس لها قرون فينبت لها قرونًا ، ويقول :

انطحي التي نطحتك في الدنيا ، اقتصي لنفسك من الشاة القرناء .

فإذا اقتصت لنفسها أمر ربنا فتكون ترابًا ...

ويشاهد المعرض الجاحد فيقول : ﴿ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ . يتمنى الو كان حيوانًا .

إنه ملك يوم الدين يوم الحساب ، يوم يجد الإنسان عمله أمامه ، يجد ما قدم يجد ما سعى ، إنْ شرًّا فشر ، وإن خيرًا فخير .

## ﴿ مَالِك يَوْمِ الدِّينِ ﴾ :

إذا جارَ الوزيرُ وكاتباه وقاضي الأرضِ أجحفَ في القضاءِ
فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ لقاضي الأرضِ من قاضـــي السمـــاءِ .

**رأيتُ المظلومين** على مر التاريخ يقفون عند الجبابرة ، فيقولون : موعدنا وإياكم غدًا . غدا نلتقي عند الواحد الأحد .

أما واللهِ إنَّ الظلمَ شـــؤمٌ * وما زال المسيءُ هو الظلومُ
إلى ديانِ يومِ الدينِ نمضـي * وعندَ اللهِ تجتمعُ الخُصُـــومُ
ستعلمُ في المعادِ إذا التقينا * غدًا عندَ المليكِ مَنِ الظلومُ

**ومجيء** «مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» معطوفًا على «الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» للإشعار بأن هذه الملكية ملكية رحمانية ورحمة.

المؤمن يحمد ربه على أنه الرب وأنه الله وأنه الرحمن وأنه الرحيم ؛ فهو الذي خلقنا وسخر لنا مخلوقاته تخدمنا ونظم حياتنا بالتكليفات لتنتظم الحياة ...

**فلِمَ نحمده أنه مالك يوم الدين** ؟!

**أقول** : إذا كانت نعم الله ( **من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات** ) تستحق الحمد . فإن مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ تستحق الحمد ؛ لأنه لو لم يوجد يوم للحساب ، لنجا الذي ملأ الدنيا شرًّا دون أن يجازى على ما فعل ، ولكان الذي التزم بالتكليف والعبادة وحرم نفسه من متع دنيوية كثيرة إرضاءً لله قد شقي في الحياة الدنيا ، وصارت التكليفات بلا قيمة والألوهية بلا معنى ...

**فهذه الملكية ليوم الدين** هي التي حمت الضعيف والمظلوم وحفظت الحق لصاحبه .

فالذي منع الدنيا أن تتحول إلي غابة يفتك فيها القوي بالضعيف والظالم بالمظلوم هو أن هناك آخرةً وحسابًا، وأن **الله** ( **العادل** ) سبحانه وتعالى هو الذي سيحاسب خلقه.فنحن نحمده أنه مالك يوم الدين .

**والله وحده يستحق الحمد الكبير** أن هناك يومًا للحساب وأنه هو سبحانه الذي يملكه وحده ويحاسب الخلق وحده ؛ لأن بعض الناس الذين ظلموا وبغوا في الأرض ربما يفلتون من عقاب الدنيا ...

**فهل هؤلاء** الذين أفلتوا في الدنيا من العقاب هل يفلتون من عدل الله ؟!

أبدًا لن يفلتوا. . بل إنهم انتقلوا من عقابٍ محدودٍ إلى عقابٍ خالدٍ . وأفلتوا من العقاب بقدرة البشر في الدنيا إلى عقابٍ بقدرة الله تعالى في الآخرة .

ولذلك لابد من وجود يوم يعيد الميزان . فيعاقَبُ فيه كلٌّ من أفسد في الأرض وأفلت من العقاب.

**فإن قيل**: ما معنى تخصيص يوم الدين ، مع أنه تعالى مالكه وغيره ؟!

**قيل له**:

لأن في الدنيا، كان له منازعين في الملك، مثل فرعون ونمرود وغيرهما. أما في ذلك اليوم فلا ينازعه أحد في ملكه، وكلهم خضعوا له . كما قال تعالى:

لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟! فأجاب جميع الخلق لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ ، فكذلك هاهنا. قال: مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ يعني في ذلك اليوم لا يكون مالك، ولا قاض، ولا مُجاز غيره.

**وإنك لتلاحظ :**

أن قوله سبحانه ﴿ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾ وقع بين :

﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ و ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ...

**فلماذا ؟!**

**إن قوله** : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قد يَلفِتُ نظرَ الإنسان إلى العالَم الذي يُحسُّه محيطًا به، و ﴿ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ يلفته إلى العالم الذي يَغيب عنه ، وأن الله تعالى ربُّ هذا وهذا ومالكُهما، ويُوقِع إدراكُ هذه العظمة الرهبةَ في النفس، ولكن اقتران العظمة بـــ ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ يُعيد إلى النفس سكينتها؛ لتُمارس دورها الذي وُجِدت مِن أجله في الحياة ،

وهذا الدور ذو بُعدَين :

**أولهما** :

هو الارتباط به سبحانه ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾.

**وثانيهما** :

هو الاستعانة به في شؤون العبادة وعمارة الأرض وغيرهما.

**وقد تقدّمت العبادة ؛**

لأن الإنسان خُلق مِن أجلِها، ولتكون النِّبراس الذي يَستضيء به في تنفيذ عملية العمارة، فيؤسِّسها على هَدْيِ العبادة وبحسب منهجِها.

# ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

## العبادة نوعان :

**العبودية العامة** :

عبودية أهل السموات والأرض كلهم لله ، برهم وفاجرهم ، مؤمنهم وكافرهم. فهذه عبودية القهر والملك. قال تعالى : " وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ( ٨٨ ) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ( ٨٩ ) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ( ٩٠ ) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ( ٩١ ) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ( ٩٢ ) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ( ٩٣ ) مريم .

فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم.

**وأما النوع الثاني** :

فعبودية الطاعة والمحبة ، واتباع الأوامر. قال تعالى : يَاعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ( ٨٦ ) الزخرف.

وقال وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ( ٦٣ ) الفرقان .

**فالخلق كلهم** عبيد ربوبيته ...

**وأهل طاعته وولايته** : هم عبيد إلهيته .

إِيَّاكَ نَعْبُدُ : العبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع .

**والتعبد:**

التذلل والخضوع ؛ فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له لم تكن عابدًا له .

ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدًا له حتى تكون مُحبًّا خاضعًا .

فهو محبوب بربوبيته ، مخضوع له بإلهيته .

**والعبادة غاية الحب في غاية الخوف في غاية الذل ؛**

وكيف لا يشعر بالذل من يستحضر عظمة مالك كل شيء ؟!

أو بالخوف من يستحضر شدة وعظمة يوم الدين والحساب؟!

وكيف لا يشعر بالحب من يسمع صفات الله تعالى ؟! ولا سيما الرحمن الرحيم المنبني عليهما الإحسان ؛ وكذلك سائر صفات الكمال .

والمحبوب إنما يُحب لكمال ذاته أو صفاته أو أفعاله، والقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها.

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ : الاستعانة الصادقة معناها التوكل .

وهي تجمع أصلين : **الثقة بالله والاعتماد عليه**

فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به لاستغنائه عنه وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به لحاجته إليه ولعدم من يقوم مقامه فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به.

**وقرنت العبادة بالاستعانة** ليدل على أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بعباة الله إلا بإعانة الله وتوفيقه ، ولا ينهض بها إلا بالتوكل عليه ، فهو إقرار بالعجز عن حمل هذه الأمانة الثقيلة ، إذا لم يُعِنه الله على ذلك .

فالاستعانة بالله علاجٌ **لغرور** الإنسان **وكبريائه** وهما داءان قتّالان .

وليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه منه.

**فإن قيل** :

لِمَ قدمت العبادة (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) على الاستعانة (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ؟!

لأن العبادة هي عِلَّةُ خَلْقِ الإنس والجن : وَمَا خَلَقْتُ الجن والإنس إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ، وإنها الغايةُ من خَلْقهم ، وإن الاستعانة إنما هي وسيلةٌ للقيام بها، فكانت العبادةُ أولى بالتقديم لأنَّ الغاية مقدمة على الوسيلة .

لأن إِيَّاكَ نَعْبُدُ متعلق بألوهيته واسمه الله ، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ متعلق بربوبيته واسمه الرب ، فقدم إِيَّاكَ نَعْبُدُ على إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ كما قدم اسم الله (الْحَمْدُ لِلَّهِ ) على الرب (رَبِّ الْعَالَمِينَ) في أول السورة.

ولأن (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) حق الرب فكان من الشطر الأول الذي هو ثناء على الله تعالى لكونه أولى به ؛ و(إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) حظ العبد فكان من الشطر الذي له وهو اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ إلى آخر السورة.

كأن العبد يقول شرعت في العبادة فإني أستعين بك على إتمامها فلا يمنعني من إتمامها مانع.

**مثال تقريبي** :

فإن مَنْ تَلبَّس بخدمة الملك وشرع فيها بحسب وُسْعَه، ثم طلب منه الإعانة عليها أجيب إلى مطلبه ، بخلاف من كلّفه الملكُ بخدمته ، فقال : أعطني ما يعينُني عليها، فهو سوء أدب .

فالعبد لما أُمر بالعبادة (إِيَّاكَ نَعْبُدُ ) ائتمر وشرع فيها محبًّا راضيًا ، ثم رجا ربه أن يعينه (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) لإتمامها حتى يرضى تعالى عنه.

**وإتيانه بقوله** (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) بعد قوله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فيه إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتوكل إلا على من يستحق العبادة ؛ لأن غيره ليس بيده الأمر، وهذا المعنى المشار إليه هنا جاء مبيَّنًا واضحًا في آيات أخر كقوله :(فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْه).

**وإنما كرر** إِيَّاكَ ليكون أدل على الإخلاص والاختصاص والتأكيد لقول الله تعالى خبرًا عن موسى : كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ، ولم يقل: كي نسبحك ونذكرك كثيرا.

**وأيضًا** للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة ، ولإبراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب .

- إِيَّاكَ نَعْبُدُ لأنك خلقتنا، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ لأنك هديتنا .
- إِيَّاكَ نَعْبُدُ لأنك الخالق ، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ لأن المخلوق لا غنى له عن الخالق.
- إِيَّاكَ نَعْبُدُ لتدخلنا الجنان، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ لتنقذنا من النيران .
- إِيَّاكَ نَعْبُدُ لأنا عبيد وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ لأنك كريم مجيد.
- إِيَّاكَ نَعْبُدُ لأنك المعبود بالحقيقة وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ لأننا العباد بالوثيقة.

**والله** سبحانه وتعالى حين يقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

( لِلَّهِ ) **غيب** و﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ **غيب** و ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ **غيب** و ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ **غيب** .

وكان السياق اللغوي يقتضي أن يقال : **إياه نعبد** .

**ولكن الله سبحانه وتعالى** غير السياق ونقله من الغائب إلى الحاضر.

وقال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ فانتقل الغيب إلى معية المخاطب. . فلم يقل إياه نعبد.

ولكنه قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ . . فأصبحت رؤية يقين إيماني.

فأنت في معية الله سبحانه وتعالى الذي غمرك بالنعم، وهذه تراها وتحيط بك لأنه ﴿ رَبِّ العالمين ﴾ . .

وجعلك تطمئن إلى قضائه لأنه ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ أي أن ربوبيته جل جلاله ليست ربوبية جبروت بل هي ربوبية ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

فإذا لم تحمده وتؤمن به بفضل نعمه التي تحسها وتعيش فيها ، فاحذر من مخالفة منهجه لأنه ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾.

(إِيَّاكَ) مفعول (نَعْبُدُ) ، وقُدِّم للتعظيم والاهتمام به، والدلالة على الحصر، فنحن نعبُدك ولا نعبد معك غيرَك ، ولتقديم ما هو مقدَّمٌ في الوجود وهو الملك المعبود، وللتنبيه على أن العابدَ ينبغي أن يكون نظرُه إلى المعبود أولاً وبالذات.

و (إِيَّاكَ) مفعول (نَسْتَعِينُ) وقدّم أيضًا للاختصاص والاهتمام كسابقه.

وكرّر **الضمير** ولم يقل : إياك نعبد ونستعين لأن **إظهارَه** أبلغ في إظهار الاعتماد على الله ، وأقطعُ في إحضار التعلق بالله والإقبال على الله وأمدحُ .

ألا ترى أن قولك: بك أنتصر وبك أحتمي وبك أنال مطالبي ـ أبلغ وأمدح من قولك: بك أنتصر وأحتمي ... ؟!

**وهكذا فإننا عندما نقول** :﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ فإننا نستحضر موجبات الحمد وهي نعم الله ظاهرة وباطنة .

وحين نقول :﴿ رَبِّ العالمين ﴾ نستحضر نعم الربوبية في خلقه وكونه .

وحين نستحضر ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فإننا نستحضر الرحمة والمغفرة ومقابلة الإساءة بالإحسان وفتح باب التوبة .

وحين نستحضر: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ نستحضر يوم الحساب وكيف أن الله تبارك وتعالى سيجازيك على أعمالك .

فإذا استحضرنا هذا كله نقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ أي أننا نعبد الله وحده ..

**إذن عرفنا المطلوب منا وهو العبادة.**

وإنَّ من المؤسف والمحزن أنَّ بعضًا ممن ينتسب إلى الإسلام في زماننا يقرؤون: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ في صلاتهم وفي غيرها ؛ ولكن ما ينتبهون لمعناها ؛ فلا يخلصون العبادة لله تعالى وحده ؛ بل يشركون في العبادة بدعائهم مع الله آلهة أخرى ؛ كمن يدعو الرسول ﷺ ويستغيث به، أو يدعو الحسين ، أو البدوي، أو زينب ، أو أبا خليل ، أو المزعوم يحيى المتوج بالظلمات ؛ فيقول: «يا بدوي» الغوث أو المدد أو انصرني أو أغثني أو أنا في حسبك ، ونحو ذلك ؛ فهذا كله من الشرك الأكبر والذنب الذي لا يغفر لمن مات على ذلك .

لماذا أطلق **فِعْلُ الاستعانة** ولم يقيده بشيء، فإنه قال:
﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ولم يقل: نستعين على كذا، أو على كذا فلم يقل مثلاً: نستعين على العبادة أو نستعين على الطاعة ، أو ما إلى ذلك ؟!

**وذلك** أنه أراد إطلاق الاستعانة لتشمل كل شيء يريده الإنسان ، ولا يخصها بشيء، فهو يستعينُ بالله على العبادة ، وعلى طلب الرزق ، وعلى النصر على الأعداء ، وعلى أن ييسر له أموره ، وعلى أن يقضي له حوائجه، فتشمل كل أمور الدنيا والآخرة.

**قيل**: ولو خصَّ الاستعانة بالعبادة والطاعة ، لبقي حكم الاستعانة في غيرها مجهولاً.

لماذا عبر عن **العبادة والاستعانة** بلفظ الجمع ، لا الإفراد فقال :
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ولم يقل: (أعبد وأستعين) ؟!

وذلك إشارة إلى أهمية الجماعة في الإسلام فالدين الإسلامي ليس دينًا فرديًا، بل هو دينٌ جماعي، وكثيرٌ من مظاهر الجماعية واضحٌ فيه كصلاة الجماعة وهي تَفضُلُ صلاةَ الفرد بسبعٍ وعشرينَ درجة، وليست المساجدُ إلا مظهرًا من مظاهر الجماعية، وهذه السورة التي تَتَرَدَّدُ في كل ركعة من ركعات الصلاة فيها إشارة إلى أهمية الجماعة، بكلمة نَعْبُدُ و نَسْتَعِينُ و اهْدِنَا.

ولما كان المقام عظيمًا لم يستقلّ به الواحد استقصارًا لنفسه واستصغارًا لها، جاءت النون لقصد التواضع لا لتعظيم النفس .

## ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

### الهداية نوعان :

**النوع الأول**: هداية الدلالة والإرشاد والبيان ، وضدها الضلال .

**النوع الثاني**: هداية التوفيق والإلهام والتثبيت وضدها الغي .

فمن النوع «**الأول**» قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.

وأما النوع «الثاني»: فكقوله:﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾، فهذه هي هداية التوفيق والإلهام.

فمثلاً: عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هداه الله الهدايتين، وأبو جهل هداه الأولى وأعرض عن الثانية.

فقوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ بمعنى الهدايتين أي دلنا وأرشدنا وثبتنا، ووفقنا وارزقنا وأعطنا، وهذا معنى ألهمنا، وهذا دعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية فهو أيضًا طلب مزيد من الهداية وتثبيت عليها؛ لأنَّ مذهب أهل السنة والجماعة أنَّ الإيمان يزيد وينقص .

اهْدِنَا:

دلنا وأرشدنا ووفقنا إلى الصراط المستقيم ، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله وإلى جنته ، وهو معرفة الحق والعمل به .

فاهدنا إلى الصراط واهدنا في الصراط :

فالهداية إلى الصراط :

لزوم دين الإسلام ، وترك ما سواه من الأديان .

والهداية في الصراط : تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علمًا وعملاً ، فهذا الدعاء من أجمع الأدعية ، وأنفعها للعبد ، ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته لحاجته إلى ذلك .

**ما الصراط ؟!**

الصراط المستقيم هو **الإسلام** ، وقيل هو **القرآن** ، وقيل : **كتاب الله** ، وقيل : **طريق الجنة** ، وقيل **طريق السنة والجماعة** ، وقيل : **طريق رسول الله** ﷺ، وقيل : **رسول الله** ﷺ وقيل : **دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره** .

وإنما سمي الدين صراطًا لأنه يؤدي بمن يسلكه إلى الجنة كما أن الصراط يؤدي بمن يسلكه إلى مقصده .

فمن استقام وثبت على الصراط المستقيم (**المعنوي**) في الدنيا فإنه يثبت ويستقيم على الصراط (**الحسي**) في الآخرة.

وبقدر انحراف العبد عن الصراط في الدنيا يكون انحرافه عن الصراط في الآخرة . **فانتبه لذلك** .

**خصائص الصراط المستقيم والفرق بينه وبين الطريق:**

لا تكون الطريق صراطًا حتى تتضمن **خمسة أمور** :

الاستقامة والإيصال إلى المقصود والقرب وسعته للمارين عليه وتعيينه طريقًا للمقصود.

ولا يخفى تضمين الصراط المستقيم لهذه الأمور الخمسة فوصفه بالاستقامة يتضمن قربه لأن الخط المستقيم هو أقرب خط فاصل بين نقطتين وكلما تعوج طال وبعد ، واستقامته تتضمن إيصاله إلى المقصود ، ونصبه لجميع من يمر عليه يستلزم سعته وإضافته إلى المنعم عليهم ووصفه بمخالفة صراط أهل الغضب والضلال يستلزم تعيينه طريقًا.

فالصراط المستقيم هو الأسرع وهو الذي ليس فيه شيء من باطل ولا اعوجاج.

وتلاحظ هذا الترتيب العجيب : فإياك نعبد مبنى على الإلهية ، وإياك نستعين على الربوبية ، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم مبني على رحمته سبحانه وتعالى .

## ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ : دليل على أنَّ الهداية إلى الصراط المستقيم نعمة من الله وفضل ومَنٌّ ؛ يمنُّ بها على من يشاء من عباده ؛ فلا يعجب العبد بعمله وطاعته.

كما في قوله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾.

والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في سورة النساء ؛ حيث قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

فعلى المسلم إذا قرأ هذا أن يستحضر هذا الدعاء بقلب حاضر موقن بالإجابة.

**فإن قيل** : لم قال : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ولم يقل (المنعم عليهم) كما قال : ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ ؟!

وجوابه من وجوه ...

**إحداها** : أن هذا جاء على الطريقة المعهودة في القرآن الكريم ، وهي أن أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلى الله تعالى ، فيذكر فاعلها منسوبة إليه ، ولا يبنى الفعل معها للمفعول ، فإذا جيء بأفعال العدل والجزاء والعقوبة حذف وبني الفعل معها للمفعول أدبًا في الخطاب وإضافته إلى الله تعالى أشرف قِسمي أفعاله.

**ومنه** : هذه الآية فإنه ذكر النعمة فأضافها إليه ولم يحذف فاعلها ، ولما ذكر الغضب حذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول فقال ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ وقال في الإحسان : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾.

ونظيره : قول إبراهيم ﷺ: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ( ٧٨ ) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ( ٧٩ ) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ الشعراء .

فنسب الخلق والهداية والإحسان بالطعام والسقي إلى الله تعالى ...

ولما جاء ذكر المرض قال : وَإِذَا مَرِضْتُ ، ولم يقل : أمرضني ، وقال فَهُوَ يَشْفِينِ

**ومنه** قوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن :

وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ( ١٠ ) الجن .

فنسبوا إرادة الرشد إلى الرب ، وحذفوا فاعل إرادة الشر وبنوا الفعل للمفعول.

ومنه قول الخضر ﷺ في السفينة :

﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ فأضاف العيب إلى نفسه .

وقال في الغلامين : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾ .

**ومنه** قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾ ؛ لأن في ذكر الرفث ما يحسن فيه أن لا يقترن بالتصريح بالفاعل.

# ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾

**ما قيمة هذه الجملة** ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ بعد ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ؟!

إنما ذكر تعالى هذه الجملة ؛ لأن الكفار قد شاركوا المؤمنين في نعم كثيرة عليهم فبين بالوصف أن المراد بالدعاء ليس هو النعم العامة ، بل ذلك النعم الخاصة.

**لم أتى في** أهل الغضب باسم المفعول ، وفي الضالين باسم الفاعل ؟!

إنّ أهل **الغضب** مَن غضِبَ الله عليهم وأصابهم غضبه ، فهم مغضوب عليهم وأما أهل **الضلال** فإنهم هم الذين ضلوا وآثروا الضلال واكتسبوه ، ولهذا استحقوا العقوبة عليه .

ولا يليق أن يقال : ولا المضلين مبنيًّا للمفعول ، لما في رائحته من إقامة عذرهم ، وأنهم لم يكتسبوا الضلال من أنفسهم بل فعل فيهم.

**لم قدم المغضوب** عليهم على الضالين ؟!

لوجوه :

**أحدها** : أنهم متقدمون عليهم بالزمان.

**الثاني** : أنهم كانوا جيران النبي ﷺ في المدينة ، والنصارى كانت ديارهم نائية عنه ، ولهذا تجد خطاب اليهود والكلام معهم في القرآن الكريم أكثر من خطاب النصارى كما في سورة (البقرة والمائدة وآل عمران) .. وغيرها من السور.

**الثالث** : أن اليهود أغلظ كفرًا من النصارى وليست عقوبة من جهل كعقوبة من علم.

**الرابع** : قد تقدم ذكر المنعم عليهم والغضب ضد الإنعام ، والسورة هي السبع المثاني التي يذكر فيها الشيء ومقابله ، فذكر المغضوب عليهم مع المنعم عليهم فيه من الازدواج والمقابلة ما ليس في تقديم الضالين .

## فقولك :

الناس منعم عليه ومغضوب عليه ، فكن من المنعم عليهم أحسن من قولك : منعم عليه وضال.

# ﴿ آمين ﴾

السنّة للقارئ :

بعد فراغه من الفاتحة أن يقول آمين مفصولا عنها بسكتة، وهو مخفف وفيه لغتان المد والقصر .

ومعنى آمين : اللهم استجب.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه .

معنى قوله ﷺ: فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة :

أي وافقهم في وقت التأمين فأمن مع تأمينهم.

وقيل: وافقهم في الصفة والخشوع والإخلاص .

**والقول الأول هو الصحيح** .

واختلفوا في هؤلاء الملائكة ، فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة.

قوله : غفر له ما تقدم من ذنبه :

يعني تغفر له الذنوب الصغائر دون الكبائر.

تم بحمد الله